حديث فى التصوف

٢٨ شعبان سنة ١٣٧٩ ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٠

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

محاضرة ألقاها بدعوة من الازهر الشريف

بقاعة المحاضرات الازهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث فى التصوف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد الذى ختم الله به الرسالة وقدمه على جميع الأنبياء والمرسلين فكان صلوات الله وسلامه عليه كالعنوان يكتب آخرا ويقرأ أولا .

ورضى الله عن آله الكرام وأصحابه الاعلام الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وآثروا الله على كل شىء فصاروا السابقين بالخيرات باذن الله وعمن حذوهم واهتدى بهداهم الى يوم الدين وأخص منهم شيوخى الصوفية الأجلاء الذين ذقت بارشادهم حلاوة الايمان والذين أدين لهم بالفضل على مر الايام .

صلة العبد بربه :

صلة المؤمن بربه جل وعلا صلة روحية وسابقة على وجوده فى هذه الدنيا وهى حقيقة ما كنا لنعلمها لولا أن الله نبأنا من أخبارها ، واستمعوا اليه تعالى اذ يقول :

(واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى)[1] . أى أنت ربنا وهذا اقرار بربوبيته تعالى وتوحيده .

وقد خلق الله أصل البشر آدم عليه السلام من تراب وكرمه

---

[1] ـ آية ١٧٢ من سورة الأعراف

وأسكنه الجنة هو وزوجته ونهاهما عن الأكل من الشجرة فأكلوا منها بوسوسة الشيطان ولكنهما أحسا بالخطيئة ولجأ الى الله مستغفرين مما وقعا فيه وقالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، فتاب الله عليهما وقضى فأهبطهما الى الأرض وجعل لهما ولذريتهما فيها مستقرا ومتاعا الى حين .

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[1] .

ثم ان الله تعالى استخلف آدم عليه السلام فى الأرض تحقيقا لوعده حيث قال لملائكته انى جاعل فى الأرض خليفة فدعا الى عبادة الله وذكرهم بعهده وأمرهم بتبليغ الدعوة فى ذريته جيلا بعد جيل ، فلما طال عليهم الأمد نقضوا عهد الله ولكن الله تعالى لم يتركهم لأنفسهم فى هذا الضلال بل أرسل اليهم الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وذكرهم بالعهد المأخوذ عليهم قائلا :

(ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن أعبدونى هذا صراط مستقيم)[2] . واختار الله لرسله الأوقات المناسبة فكانوا يأمرون قومهم بعبادة الله ويهدونهم سواء السبيل . (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا

---

[1] ـ آيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، من سورة البقرة .

[2] ـ الآيتان ٦٠ ، ٦١ من سورة يسن .

من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين . وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون . وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)[1] .

الرسالة المحمدية

وقد صدع حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بأمر ربه وبلغ رسالته وأمر اتباعه بأوامره ونهاهم عن نواهيه .

وحرص اتباعه من المهاجرين والأنصار على طاعته والتزموا حدود الله إمتثالا لقوله تعالى :

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

ولقوله :

(من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

واستبقوا الخيرات مرضاة لله ورسوله وكانت لهم همة سامية فى

---

[1] - الآيت من ٨٣ إلى ٩٣ من سورة الأنعام .

العبادات والمجاهدات أ شاد بها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى :

(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون)[1] .

وقد روى الترمذى أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

(قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون) قال لا يابنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات .

وقوله تعالى :

(فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)[2] .

وقوله تعالى :

(ان المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)[3] .

---

[1] -الآيات من ٥٧ إلى ٦١ من سورة المؤمنون .
[2] - الآيات من ٣٦ إلى ٣٨ من سورة النور .
[3] - الآيات من ١٥ إلى ١٩ من سورة الذاريات .

وقوله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)[1] . وقد قال حبيبنا المصطفى حين نزلت هذه الآية : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى ان أصبر نفسى مع ناس من أمتى .

وقوله تعالى :

(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من آثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)[2] .

وغير ذلك كثير .

فضل صحبة رسول الله

أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة من ظلمات الكفر الى الاسلام وتدرج بهم الى الايمان وسما بهم الى مقام الاحسان فكانوا أصدق المؤمنين نية وأصفاهم طوية وأقواهم جهادا واعلاهم مقاما وكيف لا يكونون كذلك وقد جعل الله لهم فى الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وليس بعد عبادته صلى الله عليه وسلم عبادة ولا بعد همته غاية ، وقد جاهدوا أنفسهم وحملوها على ما يحب الله ورسوله ولم يرضوا لانفسهم فى دينهم القليل حتى كان بعضهم يتهم نفسه بالنفاق ان تحول الى شؤون دنياه . فقد أخرج مسلم

---

[1] - الآية ٢٨ من سورة الكهف .
[2] - الآية ٢٩ من سورة الفتح .

والترمذى عن حنظلة بن الربيع الاسيدى كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه قال :

(لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال كيف أنت فقلت نافق حنظلة فقال سبحان الله ما تقول فقلت نكون عند النبى صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا نراهما رأى عين فاذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولد والضيعات ونسينا كثيرا قال والله انى لاجد مثل هذا فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرا له ذلك فقال والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات . أخرجه مسلم والترمذى [1] .

وترون من هذا الحديث ان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لها على الارواح اشراق ما بعده اشراق وليس مع الاشراق الا النور أو لم يخاطب الله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . صلوات الله وسلامه عليه .

انتقال الميراث الروحى من الصحابة لمن بعدهم

وهذا النور الروحى الذى ورثه الصحابة عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ورثوه لمن بعدهم جيلا بعد جيل وهذه العملية تسمى ميراث القدم المحمدى أو إن شئت فسمها عملية التلقين ، وهى أشبه بعملية الاختمار التى يستعان فيها بعجين سابق فى عجين لاحق حتى يصح نضجه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) .

ولسنا فى حاجة الى أن نبين أثر الميراث الروحى لأنكم تعلمون

---

[1] - المعاسفة : المعالجة ، والممارسة : والملاعبة .

كيف انتشر الاسلام فى المشارق والمغارب انتشار النور فى الظلمات فعمها فى أوسع أفق وأضيق وقت ، ولولا الميراث الروحى الذى يهدى به الله من يشاء ما حولت الرسالة المحمدية مجرى التاريخ فى اقل من ربع قرن وهى مدة تكاد لا تكفى الواحد منكم لتعليم ولده وتربيته تربية اسلامية صحيحة مع توفر الأساس فى عقيدته وهو أساس التوحيد وقد قال تعالى :

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم)[1] .

وقال ايضا :

(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين)[2] .

ولا أدل على الميراث الروحى من أن مهبط الوحى يثير نشاطا فى الروح يدركه كل من حج بيت الله أو تشرف بزيارة حبيبنا المصطفى وجلس الى جواره ، وأقسم أنى اقرأ كتاب الله فى بيت الله الحرام أو فى مسجد رسول الله فكأنى بدلت روحا غير روحى وكأن القرآن ينزل على قلبى غضا كأول عهده .

والرائى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام تهتز روحه اهتزازا ويتحول فى حياته تحولا كليا وكثيرا ما تحول الراءون من حال الى حال لم يكن لهم بها عهد ولا أمل .

ولولا الميراث الروحى ما زاد الايمان ولا نقص ولولا الميراث

---

[1] - الآية ٧ من سورة الحجرات .
[2] - الآية ١٧ من سورة الحجرات .

الروحى ما تفاضل المؤمنون ولما كانوا من درجات ثلاث كما تدل الآية الكريمة :

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)[1] .

وقد قال أمامنا البخارى رضى الله عنه : حضرت العلم عن الف وثمانين شيخا كلهم أجمعوا على أن الايمان علم وعمل يزيد وينقص .

صور الصحابة كانت أوعية للعلم :

ثم ان الصحابة رضى الله عنهم وقع عليهم العبء الاكبر فى حماية عقيدة الاسلام ونشر دعوته فلم يتفرغوا لتدوين العلم وانما كانت صدورهم أوعية له . لا بل أن القرآن الكريم لم يجمع كله إلا فى خلافة الصديق رضى الله عنه وذلك بمشورة من سيدنا عمر وتفصيل ذلك ما رواه البخارى عن زيد بن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر ان عمر أتانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن الا أن تجمعوه ، وانى أرى أن تجمع القرآن ، قال أبو بكر فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى . ورأيت الذى رأى عمر ، قال زيد وعنده عمر جالس لا يتكلم فقال لى أبو بكر ، انك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر ، هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فقمت

---

[1] - الآية ٣٢ من سورة فاطر .

فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصارى لم أجدهما مع غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر ، ومن هذه الصحف نسخت المصاحف فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه .

وكذلك الحديث كان فى صدور حفظته من الصحابه حتى أخذه عنهم الرواة ودونه الحديث فيما بعد القرنين الثانى والثالث للهجرة .

وكذلك فى الفقه كان الصحابة يستفتى بعضهم بعضا ولا يرى الواحد منهم بأسا فى أن يسأل غيره عن نص من كتاب أو سنة فيما يعرض عليه من حوادث ، قال مسروق : رأيت مشيخة رسول الله يسألون عائشة فى الفرائض وكانت القضية تنزل بأبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقضى فيها بما علم من كتاب أو سنة فان لم يجد سأل من بحضرته من الصحابة فان وجد عندهم علما بها رجع اليه والا اجتهد برأيه ، وكان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم فى كثير من المسائل يجمعون الصحابه ويعرضون عليهم ما اشكل عليهم أمره لعل بعضهم يكون عنده حديث أو علم من الكتاب ويتناقشون فى الأمر وعلى ضوء هذه المناقشة يفصلون فى الموضوع . وكان عمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت يستفتى بعضهم من بعض وكان على وابى بن كعب وأبو موسى الاشعرى يستفتى بعضهم من بعض وذكر ابن القيم أن الفتوى حفظت عن أكثر من مائة وثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين رجل وامرأة .

وكما أن الصحابة رضوان الله عنهم لم يتفرغوا لتدوين الحديث والفقه لانتشار العلم والعمل والميراث الروحى فيما بينهم ولسهولة الرجوع الى بعضهم البعض فيما يشكل عليهم من المسائل ولانشغالهم بالجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية ، فانهم بالمثل لم يدونوا شيئا من

علم مجاهدات النفس وهو ما عرف فيما بعد بعلم التصوف كما سيأتى القول .

خير القرون :

وجاء بعد جيل الصحابة التابعون ثم جاء بعد التابعين تابعو التابعين وهؤلاء هم خير القرون كما أخبرنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

ظهور السادة الصوفية :

ولما اتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وترجمت كتب اليونان وتسربت فلسفتهم الى المسلمين وكثرت الجدليات تبلبلت أفكار المسلمين وجنح كبراؤهم واغنياؤهم وتبعهم عامة الناس الى الغفلة والتقصير فى الطاعات بل واجترحوا السيئات وظهرت البدع التى لم تكن معروفة من قبل ولكن الله تعالى وفق فريقا من الزهاد والعباد فحفظوا حدود الله وأبقوا على المثل العليا الاسلامية التى ورثوها عن أسلافهم الصالحين ودعوا اليها ثم ظهرت طائفة السادة الصوفية وعرفوا بهذا الاسم قبل المئتين من الهجرة وقد قاموا على الحق وهدفوا الى تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الاسلامية الصحيحة والمحبة الخالصة لله والاشتغال به عما سواه لنيل السعادة الأبدية وهذا من فضل الله على الأمة المحمدية التى قال الله تعالى فيها (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[1] .

وقد أثرت دعوة الصوفية ونفخت فى أرواح المؤمنين وأحيت لهم نهج السابقين الأولين غير أن الفقهاء أسخطهم أن يروا أناسا يتحدثون عن الضمير ويحتكمون الى قضائه فى حين أن الشريعة تحاسب

---

[1] - الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

على الأعمال الظاهرة وتعاقب الناس على آثامهم ولا حيلة لها مع النفاق فى الدين ، ولذلك حاولوا أن يبينوا أن حياة الصوفية لا محالة مفضية بهم الى الزيغ .

اعتصام الصوفية بالكتاب والسنة :

وما كان للصوفية أن يزيغوا وقد اعتصموا بالكتاب والسنة ودعوا الى الاستمساك بهما وها هى أقوال أئمتهم تؤيد ذلك كل التأييد .

فقد قال أبو يزيد البسطامى :

(لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة) .

وقال أبو القاسم الجنيد . وهو سيد هذه الطائفة وامامهم :

(الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام) وقال أيضا من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال شاه الكرمانى :

(من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسة) .

وقال أبو حمزة البغدادى :

(من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق الى الله تعالى الا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحواله وافعاله وأقواله) .

وبحسب الصوفية شرفا ان يقول فيهم الامام الشافعى رضى الله عنه صحبت الصوفية فأخذت عنهم كلمتين :

قولهم : نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

وقولهم : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك .

وأهل السنة لم يقولوا بمروق المعتدلين من المتصوفه لا بل دأبوا على الاهتداء فى معاملاتهم وعباداتهم بمؤلفات الصوفية من مثل الرسائل لابن أبى الدنيا وقوت القلوب لأبى طالب المكى والأحياء للغزالى .

وقد قال شيخ التصوف الأكبر الامام محى الدين بن عربى :

(لقد أجمع رجال التصوف جميعا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه وانما هو فهم يعطى فى القرآن لرجال الله) كما ثبت من حديث على بن أبى طالب (وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فالهمة وجعل له نورا) .

وكما حفظ علماء الظاهر حدود الشريعة كذلك يحفظ علماء التصوف آدابها وروحها وكما أبيح لعلماء الظاهر الاجتهاد فى استنباط الادلة واستخراج الحدود والفروع والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص وترك أمره للاجتهاد والاستنباط فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آدابا وأذواقا ونهجا للمريدين والعابدين .

وهؤلاء الصوفية المعتصمون بالكتاب والسنة هم الذين ندعو الى سلوك مسلكهم ، أما غيرهم ممن خرجوا عن جادة الدين فلا شأن لنا بهم مهما ادعوا انهم صوفية .

الشريعة والحقيقة :

والصوفية حين نادوا بالحقيقة لم يخرجوا عن الشريعة وانما هم يقولون ان الشريعة هى القيام بما أمر الله والحقيقة هى شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر ، ويقولون ان الشريعة هى حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره تعالى والحقيقة أيضا شريعة من حيث أن المعارف به

سبحانه وجبت بأمره ، كما يقولون أياك نعبد شريعة واياك نستعين إقرار بالحقيقة .

وهم حين تكلموا عن المقام والحال والقبض والبسط والهيبة والانس والتواجد والوجد والجمع والفرق والفناء والبقاء والغيبة والحضور والصحو والسكر . . الخ ، انما تكلموا عن مذاقات الخواص المراعين أنفاسهم مع الله ، والسالك مسالكهم يتذوق ولا شك ما وصفوا ويتحقق منه وهو ساع الى مقام الاحسان وهو أعلى المقامات فى الدين كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم عن سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ونصه :

(بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرنى عن الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت . قال فأخبرنى عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال فأخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرنى عن أمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق فلبثنا مليا . ثم قال يا عمر أتدرى من السائل قلت الله ورسوله أعلم . قال فانه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم) .

وقد أوضح السيوطى رحمه الله ذلك بان قال : الحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص ، كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه . . الى أن

قال وامـا اول مـن اسـس الطريقـة فلـتعلم ان الطريقـة أساسـها الـوحى السـماوى فـى جملـة مـا أسسـه مـن الـدين المحمـدى اذ هـى بـلا شـك مقـام الاحسـان الـذى هـو أحـد أركـان الـدين الثلاثـة التـى جعلهـا النبـى صـلى الله عليـه وسـلم بعـد مـا بينهـا واحـدا واحـدا دينـا فقـال (انـه جبريـل أتـاكم يعلمكـم دينـكم فغايـة مـا تـدعوا اليـه الطريقـة وتشـير اليـه هـى الاحسـان . بعـد تصـحيح الاسـلام والايمـان . ليحـرز الـداخل فيهـا والمـدعو اليهـا مقامـات الـدين الثلاثـة الضـامنة لمحرزهـا والقـائم بهـا السـعادة الأبديـة فـى الـدنيا والآخـرة ، ومـن أخـل بمقـام الاحسـان الـذى هـو الطريقـة فدينـه نـاقص بلاشـك لتركـه ركنـا مـن أركانـه ، ولهـذا نـص المحققـون علـى وجـوب الـدخول فـى الطريقـة وسـلوك التصـوف وجوبـا عينا .

واسـتدل علـى الوجـوب بمـا هـو ظـاهر عقـلا ونقـلا فقـد بـين القـرآن الكـريم مـن أحـوال التصـوف والطريـق بمـا فيـه الكفايـة فـتكلم علـى المراقبـة والمحاسـبة والتوبـة والانابـة والـذكر والفكـر والمحبـة والتوكـل والرضـا والتسـليم والزهـد والصـبر والايثـار والصـدق والمجاهـدة ومخالفـة الهـوى والـنفس . وتكلـم عـن الـنفس اللوامـة والمطمئنـة وعلـى الأوليـاء والصـالحين والصـديقين وغيـر هـذا ممـا يـتكلم فيـه أهـل التصـوف والطريقـة رضى الله عنهم .

مذاقات الصوفية من مذاقات الصحابة :

واذا قيـل بـأن الصـحابة وهـم أفضـل جيـل لـم يتكلمـوا بشـىء مـن ذلـك فإننـا لا نسـتطيع أن نـدعى أنهـم لـم يتـذوقوا هـذه المقامـات مـن مـذاقات الايمـان الحـق واليقـين الصـادق بـل ان أخبـارهم تؤيـد مـا قـال بـه الصـوفية تاييـدا تامـا وسـتأتى الأدلـة ناصـعة مـن الكتـب والسـنة . واذا كـان الصـوفية قـد أفشـوا مـن مشـاعرهم مـا لـم يفشـه الصـحابة فـذلك لأنهـم وجـدوا الـزمن قـد تغيـر والنفـوس قـد صـدأت والقلـوب قـد غفلـت فاضطروا لأن يصونوا روح الدين فدونوا علمهم الذوقى حتى لا يموت

بمـــوت أهلـــه وقصـــدوا بعلمهـــم هـــذا أن يستنهضـــوا الهمـــم فـــى طلـــب الله وان ينيروا سبيل السلوك الحق لمن أراد أن يتخذ الى ربه سبيلا .

وقـــد كشـــف القـــرآن الكـــريم فـــى بعـــض المواضـــع عـــن كـــوامن الأحاســـيس الباطنة فى مثل قوله تعالى :

(وعلـــى الثلاثـــة الـــذين خلفـــوا حتـــى إذا ضـــاقت علـــيهم الأرض بمـــا رحبـــت وضـــاقت علـــيهم أنفســـهم وظنـــوا الا ملجـــأ مـــن الله الا اليـــه ثـــم تـــاب علـــيهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)[1] .

ومـــا كنـــا ولا كـــان زملاؤهـــم الصـــحابة يعلمـــون أن تـــوبتهم وانـــابتهم الـــى الله بلغت هذا الحد لولا كشف عنه الله .

وأخـــرج الشـــيخان عـــن أبـــى بـــن كعـــب رضـــى الله عنـــه عـــن النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم أن موســـى قـــال للخضـــر (هـــل أتبعـــك علـــى أن تعلمـــن ممـــا علمـــت رشـــدا قـــال إنـــك لـــن تســـتطيع معـــى صـــبرا) يـــا موســـى إنـــى علـــى علـــم مـــن الله علمنيـــه لا ينبغـــى لـــك أن تعلمـــه وأنـــت علـــى علـــم علمـــك الله لا ينبغـــى لـــى أن أعلمه .

وأخـــرج البـــزار والبهيقـــى فـــى الشـــعب عـــن أنـــس رضـــى الله عنـــه أن رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم لقـــى رجـــلا يقـــال لـــه حارثـــة فقـــال كيـــف أصـــبحت يـــا حارثـــة قـــال أصـــبحت مؤمنـــا حقـــا فقـــال إن لكـــل قـــول حقيقـــة فمـــا حقيقـــة إيمانـــك ، فقـــال عزفـــت نفســـى عـــن الـــدنيا وأســـهرت ليلـــى وأظمـــأت نهـــارى فكـــأنى أنظـــر الـــى عـــرش ربـــى بـــارزا وكـــأنى أنظـــر أهـــل الجنـــة يتـــزاورون فيها وكأنى أسمع عواء أهل النار فقال عرفت فألزم .

وأخـــرج الشـــيخان عـــن أبـــى هريـــرة فـــى حـــديث ســـؤال جبريـــل عـــن الاحســـان . قـــال رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم (الاحســـان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)[2] .

---

[1] - الآية ١١٨ من سورة التوبة .

[2] - تقدم نص الحديث برواية مسلم .

وقد قال همام . وكان رجلا عابدا . لمولانا الامام على كرم الله وجهه :

يا أمير المؤمنين : صف لى المتقين حتى أنظر اليهم فتثاقل الامام عن اجابته ولكنه الح عليه فقال فيما قال :

نزلت انفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ولولا الاجل الذى كتب لهم لم تستقر أرواحهم فى اجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب ، عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياما قصيرة أعقبتها راحة طويلة ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها .

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين وحزما فى لين وايمانا فى يقين وحرصا فى علم وعلما فى حلم وقصدا فى غنى وخشوعا فى عبادة وتجملا فى فاقة وصبرا فى شدة وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ويصبح فرحا ، حذرا من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة . ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤالها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى . الى آخر هذا الوصف الرائع الذى يصعب على غير الامام أن يأتى بمثله رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، وقد كشف به عن أحوال الصحابة وهم أئمة المتقين وتؤيد هذه الأحوال مسلك الصوفية الذين حذوا حذو الصحابة فى مسيرهم الى الله .

وتلك الأدلة قاطعة بأن مسلك الصوفية هو احياء لنهج السابقين الأولين .

مم أشتق أسم الصوفية :

جاء فى الرسالة القشيرية ما خلاصته : يقال رجل صوفى وللجماعة صوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة متصوفة وليس يشهد من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والا ظهر فيه انه كاللقب .

أما قول من قال أنه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كأن يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ، ومن قال أنهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجىء على نحو الصوفى ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة ومن قال أنه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة الى الصف .

وقال الامام القشيرى أيضا وتكلم الناس فى التصوف ما معناه وفى الصوفى من هو . فكل عبر بما وقع له .

وقد تخيرت لكم بعض ما قيل فى هذا الباب :

قال الجنيد . التصوف هو ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع . وقال الكتانى . التصوف هو خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء .

وقال أبو محمد الجريرى . التصوف هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى .

وقال محمد بن على القصاب ، التصوف هو أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وقال رويم . التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

وقال أبو على الروذبارى . التصوف هو صفوة القرب بعد كدورة البعد .

وقال الشبلى . الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق كقوله تعالى واصطنعتك لنفسى قطعة عن كل غير ثم قال لن ترانى .

وقال ذو النون المصرى . الصوفية قوم آثروا الله على كل شىء وآثرهم الله عز وجل على كل شى .

وقال سمنون . التصوف هو أن تملك شيئا وألا يملك شئ .

ولسيدى أبو العباس المرسى لفتة لطيفه وتخريج ظريف اذ قال رضى الله عنه صوفى كلمة مركبة من أربعة أحرف : ص ، و ، ف ، ى .

فالصاد : صبره وصدقه وصفاؤه .

والواو : وجده ووده ووفاؤه .

والفا : فقده وفقره وفناؤه .

واليا : ياء النسبة فاذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف الى حضرة مولاه .

وقال بعضهم :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الأسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

قواعد التصوف :

يقوم التصوف على قواعد خمس هى :

أولا . محاسبة النفس

النفس بطبعها أمارة بالسوء والصوفية لا يجارون النفس فى حديث الشهوات ولا فى خواطر السوء بل يحاسبونها ويدفعونها بهذه المحاسبة الى السمو والترقى ويحولون بينها وبين الانحطاط الى الرذيلة وعندهم أن الغفلة عن الله ذنب يجب الاستغفار منه ولذلك يقولون

ان توبة العوام من الزلات وتوبة الخواص من الغفلات وتوبة خواص الخواص من رؤية الحسنات . وهم يستعينون في تربية نفوسهم بالذكر والطاعات ومراقبة الخواطر ولهم في ذلك المضمار مجاهدات تنتهي الى صفاء المعرفة والركون الى الله والانس به في جميع الاوقات والأحوال .

وكفى النفس اللوامة شرفا أن يقسم بها الله تعالى في قوله الكريم (لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة)[1] .

وفي هذا المقام أسوق حادثة طريفة وقعت أيام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب حيث عين إماما على جماعة . وكان رضي الله عنه معروفا بحسن فراسته في الرجال فشكت إليه الجماعة من أن امامهم يصلى ثم يغني ، فأستغرب أمير المؤمنين الأمر وسأل الامام أحقا ما يقولون من أنك تصلى ثم تغني ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال ماذا تغني ، فأجاب انى أغنى فأقول :

وفؤادى كلما عاتبته عاد للذات يبغى تعبى
لا أراه الدهر الا لا هيا فى تماديه فقد برح بى
يا قرين السوء ما هذا الصبا فنى العمر كذا فى اللعب
وشباب بان منى فمضى قبل أن أقضى منه أربى
نفسى لا كنت ولا كان الهوى اتقى المولى وخافى وارهبى

فما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه الا أن قال لهم من كان منكم مغنيا فليغن هكذا .

وها هو أمير المؤمنين رضى الله عنه يحدث عروة بن الزبير عنه فيقول رايت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء ، فقلت يا أمير المؤمنين لا ينبغى لك هذا فقال لما أتتنى الوفود سامعين مطيعين دخلت فى نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة الى حجرة أمرأة من الأنصار فأفرغها فى انائها .

ومن تعاليم أبى حفص وهو من أئمة الصوفية :

---

[1] - الآيتان ١ ، ٢ من سورة القيامة .

من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجبرها على مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها . وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه ويوسف الصديق يقول وما أبرى نفسى أن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى .

ومن حكم الصوفية : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حكم الشهوات محصورا فى سجن الهوى وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى ولا يستحليه وان كثر ترداده... لقوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق .

وقال ذو النون المصرى : انما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء : ضعف النية بعمل الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق والخامس تبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والسادس جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم .

وقال بن عطاء :

النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب .

فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها فهو شريك معها فى فسادها ، وقال عمرو ابن عثمان المكى : العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموح خداعة رواغة فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد .

وأقوالهم فى هذا الباب كثيرة فليراجعها من شاء فى مراجعها .

ثانيا . قصد وجه الله تعالى

هذه القاعدة قاعدة أساسية فى الدين ، وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه حديث (إنما الأعمال بالنيات) يدخل فى نصف العلم

ويقـــول الله تعـــالى (ومـــا أمـــروا إلا ليعبـــدوا الله مخلصـــين لـــه الـــدين) وقـــد جـــاء فـــى الحـــديث الشـــريف عـــن أنـــس بـــن مالـــك أن رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم قـــال (ثـــلاث لا يغـــل علـــيهن قلـــب مســـلم : إخـــلاص العمـــل لله تعـــالى ومناصـــحة ولاة الأمـــر ولـــزوم جماعـــة المســـلمين) . ويقـــول الصوفية : النية عبودية القلب والآعمال عبودية الجوارح .

وقـــد قـــال ســـيدنا معـــاذ بـــن جبـــل لحبيبنـــا المصـــطفى صـــلى الله عليـــه وســـلم حـــين أرســـله الـــى الـــيمن : يـــا رســـول الله عظنـــى فقـــال لـــه : أخلـــص دينـــك يكفـــك العمـــل القليـــل ، ومـــن حكـــم أبـــى عثمـــان الصـــوفى : الأخـــلاص مـالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا إخلاص العوام وأما إخلاص الخواص فهو ما يجرى عليهم لابهم فتبدوا منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص .

وقـــال اســـتاذى العـــارف بـــالله الشـــيخ علـــى عقـــل وقـــد كـــان رضـــى الله عنـــه يلقـــن الحكمـــة الهامـــا مـــن عطـــاء الله تعـــالى وكنـــا نـــدون بعـــض مـــا يجـــرى علـــى لسانه من ورده الأصفى :

اسعى لخلاقى واقصد وجهـه وعن المسير اليـه لن أتخلفـا
يا مالكا روحى ومانحها الهدى أنظر الى فأنت أكرم من عفـا
إن قيل من قلت امرؤ فى ربه ساع وهذا فى انتسابى قد كفى
لا والذى غمر العباد بفضله إنى بغيـر الله لن أتشرفا

ثالثا . الزهد فى الدنيا

ويقصـــدون بـــه الزهـــد فـــى الحـــرام أمـــا الحـــلال فمبـــاح وإن كثـــر علـــيهم المـــال الحـــلال شـــكروا الله بانفاقـــه فـــى الأوجـــه التـــى يرتضـــيها ويقولـــون أن مـــال الصـــحابة كـــان فـــى أكفهـــم لا فـــى قلـــوبهم فبـــذلوه رخيصـــا فـــى مرضـــاة الله ويقولـــون كـــذلك إن الصـــبر أحســـن بصـــاحب الفقـــر والشـــكر اليـــق بصاحب المال الحلال .

وقد قال الامام أحمد بن حنبل فى هذا المقام . الزهد على ثلاثة أوجه :

الأول . ترك الحرام وهو زهد العوام .

والثانى . ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص .

الثالث . ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .

وأخيرا يعرف الصوفية الزهد فيقولون هو ألا تفرح بموجود من الدنيا ولا تتأسف على مفقود فيها عملا بقوله تعالى :

(لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .

ولا يظن ظان أن الدين الاسلامى يقف فى سبيل كسب المال لأنه زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة ، فها هو كتاب الله يقول (فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) كما يقول (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، ويقول (فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) . وكل مايطلبه الدين الحنيف هو أن يكسب المؤمنون مالهم من حلال ولا يفتتنوا بالدنيا مهما أقبلت عليهم ولا ينسوا فى غمراتها حياة الآخرة التى هى خير وأبقى .

وقد كان أمامنا الصديق رضى الله عنه يقول : والله لأن تقدم عنقى فتضرب فى غير حد أحب الى من أن أخوض غمرات الدنيا .

وقد كانت للصحابة تجارة وزراعة وكانت لهم أموال ولكنها وصلت الى أيديهم ولم تركن اليها قلوبهم كما سبق القول لذلك تصرفوا فيها تصرف المستخلفين فى الأرض ولم يفتتنوا بها وأنفقوا فى سبيل الله ما فضل عن حاجاتهم منها لا بل كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

والواقع أن زهد الصحابة صار مضرب المثل لأنهم فتحت عليهم الدنيا فلم يغتروا بزخرفها وآثروا رضاء الله تعالى على ارضاء حظوظهم وبذلوا الأموال طيبة بها نفوسهم ، ولا زلنا نذكر مواقف لهم خالدة مثل موقف الصديق رضى الله عنه حين قدم كل ما يملك لله فسأله رسول

الله صلى الله عليه وسلم وما أبقيت لك ولعيالك فقال ، وما أبدع ما قال ، أبقيت لهم الله ورسوله . أو موقف أمير المؤمنين عثمان بن عفان الذى جهز جيش العسرة (وعدده عشرة الآف مقاتل) بسبعمائة بعير محملة بالزاد وأعطى كل مقاتل دينارا من ذهب ولم يكتف بهذا بل جاء بألف دينار وصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ صلى الله عليه وسلم يقلبها بين يديه ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعدها .

فالصوفية حين يدعون الى الزهد لا يدعون الى الزهد من عدم ولكن يدعون الى الزهد من وجود ، وهذا هو حقيقة الزهد ، أما الزهد من العدم فهو كالعدم إذ من الجائز أن يفتتن الزاهد المعدم لو طالت يداه المال (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) والابتلاء بالمال ابتلاء كبير (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ويا سعادة من اجتازه بنجاح وما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا .

رابعا . توطيد القلب على الرحمة والمحبة للمؤمنين

وصف الله المؤمنين بأنهم رحماء بينهم كما ربط بينهم برابطة الأخوة فى قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) . وهذه الأخوة تقتضى المحبة والتراحم . وقد مثل حبيبنا المصطفى جماعة المسلمين بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وجاء فى الحديث الشريف (من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم) .

وقد وصف الله حبيبنا المصطفى فقال :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)[1] .

وكان امامنا ابن حنبل رضى الله عنه يقول (لو كان لى دعوة مستجابة لدعوت للوالى بصلاح الحال لأن فى صلاحة صلاح الرعية) وقد حثت السنة المحمدية المطهرة على تعميم الدعاء للمسلمين . لترويض

---

[1] - آية ١٢٨ من سورة التوبة .

نفوسهم على التراحم والتماسك . وجا من مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان اذا نزل بالمؤمنين بلاء لا يضحك قط حتى يرتفع ذلك البلاء .

خامسا . التحلى بمكارم الأخلاق

وهذه القاعدة هى جماع الفضائل كلها ، وقد امتدح الله حبيبنا المصطفى بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وقال صلوات الله وسلامه عليه إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أدبنى ربى فأحسن تأديبى .

ولن يكون المؤمن متحليا بمكارم الأخلاق حتى يتخلق بالخلق النبوى الكريم . وقد سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه . وما أحلى ما قاله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم : أنتم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق . وقد قال العارفون إن مكارم الاخلاق منحصرة فى قوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) . كما قالوا أن الاستقامة تنهى عن الشر والصلاح يأمر بالخير . وذهبوا الى ان التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى التصوف .

وروى ان أمير المؤمنين امامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه . دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه ، فقام اليه فرآه مضطجعا فقال (أما تسمع ياغلام) فقال نعم (قال فما حملك على ترك جوابى) فقال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال (أمض فأنت حر لوجه الله تعالى) . وبهذا الخلق الكريم قابل الامام كرم الله وجهه السيئة بالحسنة (ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) .

سبيل الصوفية فى نشر مبادئهم :

يأخذ الصوفية فى تلقين مبادئهم وتعلم آدابهم لمريد التصوف بالوسائل الآتية :

أ . التواصى بالحق

من حكم الصوفية قولهم ، نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقد علمنا حبيبنا المصطى صلى الله عليه وسلم أن من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ، كما علمنا صحبه الصالحين الذين آتاهم الله الحكمة فقال إذا رأيتم الرجل أوتى زهدا فى الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة .

وجاء فى القرآن الكريم (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقدأوتى خيرا كثيرا)[1] ، وقال العلماء الحكمة هى العلم النافع . والصوفية يتواصون بالحق ليشغلوا الناس به عن الباطل وعن اللغو الذى لا فائدة منه وقد قال تعالى :

(والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)[2] .

ب . البيعة

وللتوصل الى التواصى بالحق بهمة وصدق وعزيمة يبايع المتابع منهم اماما أرشد منه فى أمر الدين على طاعة الله ورسوله ويتخذه أستاذا يأتمر بأمره ويكون هذا الاستاذ قد استرشد من قبله بامام آخر . وهكذا الى أن يصل الأتباع الى سادتنا الصحابة فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والبيعةأمر شرعى ثابت فى الدين من أفعال سيدنا رسول الله

---

[1] - الآية ٢٦٩ من سورة البقرة .
[2] الآيات ١، ٢ ، ٣ من سورة العصر .

صلى الله عليه وسلم . وأقواله وقد ثبت بالقرآن الكريم مبايعته لاصحابه تحت الشجرة وهذا لا ينافى سابق ايمانهم بل يؤكده ويوثقه ، وامتدح الله تعالى هذه البيعة ورضى عن المبايعين . كما بين خطر البيعة وعظم شأنها ، وان مبايعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هى مبايعة الله فقال تعالى :

(ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما)[1] .

وقال أيضا (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)[2] .

وثبتت بالقرآن الكريم مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنات على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهم وأرجلهن ولا يعصينه فى معروف . وثبت أن البيعة كانت تحصل باعطاء اليد وقبول الميثاق الذى يأخذه سيدنا رسول الله على المبايع ، يدل على ذلك ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه فى بيعة الشجرة وضع يده اليسرى على يده اليمنى الشريفة وقال وهذه يد عثمان ، حيث كان فى مكة يفاوض أهلها على الصلح فى عام الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة .

ومؤدى ما تقدم ان البيعة على الطاعة أمر شرعى من سنة سيد المرسلين فهى تجديد العهد وتقوية للرابطة وتذكير بالميثاق الدينى

---

[1] - الآية ١٠من سورة الفتح .
[2] - الآية ١٨ من سورة الفتح .

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم (من بايع إماما أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع) ويقول الله تعالى :
"يوم يدعوا كل اناس بإمامهم " فالبيعة من اسس الدين والامامة كذلك .

جـ . الصحبة

نوه الله تعالى بالصحبة فى قوله الكريم (ثانى أثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) وبين بذلك شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على من كان بصحبة وهو الصديق رضى الله عنه . وقد جاء فى سورة الكهف ان سيدنا موسى عليه السلام قال لسيدنا الخضر عليه السلام (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا * قال انك لن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا * قال فإن اتبعتنى فلا تسئلنى عن شى حتى أحدث لك منه ذكرا) .

ويستفاد مما تقدم أن الصحبة فى الدين مطلوبة لتزكية النفس ولطلب المزيد من العلم الربانى فان سيدنا موسى عليه السلام مع رسالته لم يزهد فى أن يستزيد من العلم الربانى الذى كان عند الخضر عليه السلام حيث بين القرآن انه كان عبدا من عباد الله الصالحين وقال الله تعالى فى شأنه (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) .

والصوفية يعلقون على الصحبة الصادقة أهمية كبرى فى تربية النفوس ورياضتها فى السلوك الى الله ويذهبون الى أن المؤمن يحتاج فى تربيته الى إمام راشد فى الدين يريه عيوب نفسه ورعوناتها ويعاونه فى سلوك طريق القوم ويذهبون الى أن الشجر اذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لا يثمر وكذلك المريد إذا لم يكن له استاذ يتخرج به لا يجىء منه شىء .

ومن حكم الامام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه (لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس إلا حيث تأمن معصية الله ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا) .

ويعجبنى ما قاله استاذى العارف بالله الشيخ على عقل رضى الله عنه فى هذا المقام :

إذا لم يكن للنفس شيخ له هدى يؤدبها بالروح زاغت عن السير
ولا يعبر البحر الخضم ونوءه سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر
ولولا اتصال الكهرباء بأصلها على موجة التيار ما نورها يسرى

كما تعجبنى حكمة أمير الشعراء شوقى رحمه الله اذ يقول :

اساة جسمك شتى حين تطلبهم فمن لروحك بالنطس المداوينا

(د) ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى .

اجمع العارفون على أنه لا يجمع العبد على ربه ويوصله إليه إلا ذكر الله تعالى والمداومة عليه وخلوه القلب به كما كانت الأنبياء تفعل ذلك وتبعتهم الأولياء . وقد حث القرآن الكريم على ذكر الله ذكرا كثيرا فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله تعالى (فاذكرونى أذكركم) وقوله تعالى (... والذاكرين الله كثيرا والذكرات أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما) ونهى الله تعالى عن الغفلة فى مثل قوله تعالى (وأذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) كما دعت السنة النبوية الى ذكر الله ، فقد ورد عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : ما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله تعالى) . وهذا لا يقلل من شرف مجاهدة الأعداء بل يبين علو درجة الذاكرين .

وورد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) .

والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب ، فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب... والتأثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكر بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه . وأنشد بعضهم :

ما ان ذكرتك الا هم يزجرنى قلبى وسرى وروحى عند ذكراكا

حتى كان رقيبا منك يهتف بى أياك ويحك والتذكار اياكا

ومن خصائص الذكر انه جعل فى مقابلته الذكر حيث قال الله تعالى (فاذكرونى أذكركم) وفى خبر ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى يقول : أعطيت امتك ما لم أعط أمة من الأمم فقال وما ذاك يا جبريل : فقال قوله تعالى (فاذكرونى اذكركم) لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة .

وقال مولانا الحسين رضى الله عنه (تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء . فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن ، فان وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق) .

والذكر له أسرار عليا وهو يورث ولا شك محبة الله كما يورث نور المعرفة وصدق الصلة بالله وحلاوة المناجاة ، والذاكرون الله كثيرا يعيشون بابدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى . ويقول أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى حكمه الملهمة [1] :

وإكتحال العيون أيسر شيء وأكتمال القلوب صعب المنال

هو ذكر ورغبة وشهود ووفاء للخالق الفعال

ويقول رضى الله عنه فى محبة الله وانسه به :

---

[1] - له ترجمة وديوان مطبوع بمطبعة الحلبى باسم ((السمو الروحى فى الأدب الصوفى)) جمعه الأستاذ السيد أحمد عبد المنعم عبدالسلام الحلوانى .

رأيتك لى من الدنيا كفيلى ولم أر غير ركنك من مقيل
تجنبت الشكوك فما عرتنى وأدركت الحقيقة فى مثولى
وفتشت العلوم وعارفيها فلم أر كلمحبة من دليل
محبة خالقى مشكاة قلبى على أنوارها القى وصولى
ولى من مشرق الايمان علم سموت به على كل الفحول
علومى فى الورى نفحات ربى فما بلغوا مذاقى أو شمولى

كما يقول :

قتلت هوى نفسى فعشت بلا نفس وجافيت أنسى فانتهيت الى الانس
وما أتخذت روحى سوى الله غاية فتم الهدى للروح والقلب والحس
وإن رفع المثرون عجبا رؤوسهم رفعت بذكر الله فوق الورى رأسى
وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة أصون به نفسى عن الزيغ والدس
وإن شرب الناس الطلا وتصببوا فسنة خير الخلق فى شربها كأسى
ولم أعشق الدنيا فتلك مجازة تهيىء للأخرى وفى فوتها عرسى
إذا رضى الرحمن عن قلب عبده جرت مركب الأقدار معه على اليبس

ويقول كذلك :

قد شربنا من حبه فسكرنا وعرفنا من أين نأتى الجوارا
ودخلنا دار الكرامة نروى بيقين الهدى وكنا حيارى
أعذرونا اذا نهيم فانا فى ديار الهوى خلقنا أسارى
وترانا من حيث نشرب فى الكأس سكارى ولم نكن بسكارى
نتحلى بالعلم فى كل ناد ونرى بالتقى علينا أزارا
فقلوب مثل الكواكب فينا تظهر النور فهو لا يتوارى

وهو بهذه الأبيات الصوفية النيرة يجدد ذكرى الصوفية الماضيين ويرينا صورة من صورهم وقد كانت همته رضى الله عنه فى ذكر الله وطاعته لا تبارى ولعل الكثير منكم رآه واجتمع به واستمع اليه

ولمس فضله فى التصوف ، وقد انتقل الى الدار الباقية فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤٨ وكان منارا للسالكين فى عصرنا الحاضر ، وقد أخذت عنه بحمد الله الفقه والقراءات والتصوف ، وكان أحد الائمة الذين أنجبتهم الطريقة الخليلية لشيخها ولى الله العارف بالله قطب عصره سيدى الشيخ محمد أبى خليل ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق . وتربى فى طريقته على يد العارف بالله استاذى الأجل ولى الله وصاحب اليد الطولى على سيدى عبد السلام الحلوانى قدس الله سره وجزاه الله عنى وعن المسلمين خيرا وهو من خلفاء الشيخ رضى الله عنه وقد أخذت عنه آداب السلوك الصوفى حيث كان طيب الله ثراه اماما للسالكين فى عصرنا الحاضر وانتقل رضوان الله عليه الى جوار ربه الكريم فى ١٠ أكتوبر ١٩٤٤ .

كم من يد بيضاء قد أسديتها تثنى اليك عنان كل وداد
شكر الاله صنائعا اوليتها سلكت مع الأرواح فى الأجساد

وقد وجدت من واجبى أن انوه بشيوخى الصوفية المربين لأبين ان الدعوة الصوفية لا تزال باقية وان تقادم عهدها لأنها دعوة الحق ، ولأعترف بفضلهم على ولأقر انى مدين لهم بوقفتى هذه بينكم وهى وقفة كريمة أعتز بها وأحمد الله عليها وما كنت لاتشرف بها لو لم يهيئونى لها ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لمهتدى لولا ان هدانا الله .

كيف تختار استاذك المربى :

بينا فيما تقدم ان المؤمن لابد له من رائد يربيه فى سلوكه الى الله ويريه عيوب نفسه ورعونتها ويلقنه روحا وعلما وعملا الآداب الاسلامية الصحيحة الموروثه عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم . وكما تعلم الانسان علومه المدنية على أساتذة ، يجب ان يأخذ دينه علما وعملا عن مرب ناضج ذى روح عالية وبصيرة نافذة . وصفة هذا المربى بينها ابن الجوزى فقال (هو ذلك الذى يربيه الحق من صغره

فتراه فى الطفولة معتزلا عن الصبيان كانه فى الصبا شيخ ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ثم لا تزال شجرة همته تعلو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب فهو حريص على العلم منكمش على العمل ساع فى طلب الفضائل خائف من النقائص ولو رأيت التوفيق والالهام الربانى كيف يأخذ بيده ان عثر ويمنعه من الخطأ إن هم ويستخدمه فى الفضائل ويستر عمله حتى لا يراه منه فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه) .

وأنتم ترون من هذا أن الأستاذ لا يتأتى ارشاده النافع إلا باستعداد فطرى فيه وبعناية الهية تواتيه فيختصه الله بفضله ويجعله ميسرا لما خلق له من توجيه الخلق الى الحق بالعلم والعمل وسطوة النور الروحى الذى يمشى به فى الناس .

وقد شرط العارفون أن يتوافر له ذوق صريح وعلم صحيح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة . وقالوا ان من العلامات الدالة عليه السخاء وحسن الخلق والشفقة على خلق الله وعدم الانكباب على جمع الدنيا ومجانبة الدعوى وعدم الشكوى من ضيق العيش أو إعراض الناس وإنكسار قلبه مع الله وظهور البركة والصلاح فى اتباعه كما قالوا ليس من لازمه الكرامات ولا الإخبار بالغيب .

وقد يقول قائل وكيف لى ان أقف على حياة الأستاذ وانا اصغر منه سنا والجواب سهل فانه فى الوسع أن يقتدى الصغير فى اختيار أستاذه بمن هم أكبر منه سنا من ذوى الرشد والصدق فى الدين فانهم لا يتخذون أمامهم إلا بعد التثبت من أنه أهل لارشادهم فى سلوكهم الى الله .

وقد قال أبو على الثقفى الصوفى ، لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات .

وكثيرا ما اعترض المعترضون على بعض أئمة التصوف ثم اتصلوا بهم فوجدوا فى صحبتهم الخير كل الخير .

أثر التربية الصوفية فى نفسى :

أتحدث بنعمة الله وأقول أن التربية الصوفية زادتنى ايمانا بالله وثقة فيه وتوكلا عليه وشوقا اليه ورضاء بقضائه وتسليما له كما وثقت صلتى الروحية برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوت يقينى بأنه صلوات الله وسلامه عليه منة الله علينا والرحمة المهداة الينا ، هذا من حيث الأجمال ، أما من حيث التفصيل فأمر يطول به الشرح فضلا عن أن ما وجدته من مذاقات وجدانية لا يمكن التعبير عنه بمقال ولكنى أنوه لكم بأثر عميق فى حياتى لحكمة بالغة جاءتنى فى رسالة كريمة بعث بها الى استاذى العارف بالله ولى الله سيدى عبدالسلام الحلوانى طيب الله ثراه قال فيها رضى الله عنه (أما عن الدنيا وما فيها ومن فيها فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيها وفيها ما فيها ، لأنك ان دبرت وصح التدبير وهو مطلوب شرعا فلا تدرى كيف قضى فيه فان صح القضاء بالرضاء فهو القضاء ، وان حصل الجفاه سألناه اللطف فى القضاء مع الرضاء على أنه الرضاء) .

وانى كبشر أتعرض لما يتعرض له سائر الناس من تقلب فى الأحوال ومنها ما تكرهه النفس أو يضيق به الصدر وانى كلما عرض لى ما أكرهه أو أضيق به . تردنى هذه الحكمة الى الرضا والتسليم فأرتاح فى قرارة نفسى ، وكثيرا ما دعوت لاستاذى الذى هدانى للحق ببصيرته وسكن اضطرابى بحكمته .

وقد وجدت من أثر الذكر خيرا كثيرا فاهتديت الى أجوبة فى مقامات دقيقة بطريق الالهام ووعظنى واعظ الله فى قلبى عند القلق ومن أمثلة ذلك :

(أ) كنت أتكلم يوما فى درس بالقرية عما خص به حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فكان مما قلت انه كانت تظله الغمامة فاعترضنى

بعض أهل العلم وقال لم تكن هذه خصوصية له صلى الله عليه وسلم بل هى عامة للمرسلين صلوات الله عليهم فقلت هذا ما وقفت عليه فى سيرته فاذا كان لك سند من علم فانى اقبله على عينى ورأسى ثم سكتنا فوقع فى قلبى ، واذا لم تكن خصوصية فلماذا حكى الله عن موسى عليه السلام فقال (فسقى لهما ثم تولى الى الظل) فكتمت الخاطر حتى فرغ الدرس وصلينا ثم كاشفته بهذا الجواب بعد خروجنا من المسجد فيما بينى وبينه فسكت ولم يجادل .

(ب) كانت نفسى ثائرة يوما لعدم ترقيتى الى الدرجة الرابعة فقصدت الى أستاذى وسيدى السيد / عبد السلام الحلوانى لأنفس به عن ضيق نفسى وحرج صدرى فركبت الترام وما أن وصل الى منتصف الطريق حتى وعظنى واعظ الله فى قلبى : دهده أنت حاتعمل زى اللى بيقول عنهم ربنا (ومن الناس من يعبد الله على حرف فأن اصابه خير أطمأن به وان أصابته فتنة أنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)[1] . فأسرعت باستغفار ربى مما وقع منى وسألته التوبة والعفو وعندما لقيت استاذى عليه الرضا والرضوان بلغته ما جرى فأبتسم رضى الله عنه وقال لى دى خواطر القرآن عظيمة جدا .

وانما قصدت بهذه الأمثلة أن اربط على قلوب المؤمنين وازيل ما قد يعتريهم من شك فى السلوك الصوفى .

ومن طريف ما أطلعت عليه فى هذه المناسبة ما وقع لسيدى ابن عطاء الله السكندرى وكان رضى الله عنه من كبار علماء الشريعة وكان يعترض فى بداية أمره على سيدى المرسى أبى العباس الامام الصوفى المعروف فرجاه شاب من أتباع الامام المرسى أن يجتمع به ويستمع اليه ثم يحكم له أو عليه فأجابه الى رجائه فذهب الى حلقة الامام

---

[1] - الآية ١١ من سورة الحج .

المرسى رضى الله عنه فوجده يتكلم مع مريديه فى مدراج السلوك الى الله ويقول لهم :

أنفاس الشرع اسلام فايمان فاحسان وان شئت قلت شريعة فحقيقة فتحقق وإن شئت قلت عبادة فعبودية فعبودة .

قال ابن عطاء الله فما زال الشيخ يقول وان شئت وان شئت وان شئت حتى بهر عقلى وايقنت أنه يغرف من فيض الهى .

وقال فقمت من عنده وبى هم ثم عدت له ثانية فتلقانى بترحاب فقلت له أنى والله أحبك قال أحبك الله كما احببتنى كيف تجدك ، قلت أجد بى هما فنظر الى وقال : أحوال العبد اربعة لا خامس لها . النعمة والبلية ، والطاعة والمعصية ، فان كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وان كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت فى الطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها ، وان كنت فى المعصية فمقتضى الحق منك وجوب الاستغفار ، قال فقمت من عنده وكأن الهم ثوب نزعته فعدت له ثالثة فقال لى كيف تجدك فقلت أجد كأن الهم ثوب نزعته فقال لى الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين ، ثم قال يخاطب الله :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى

والناس فى سدف الظلام ونحن فى وضح النهار

وقد تحقق ذلك فصار ابن عطاء الله اماما جليلا من أئمة التصوف الذين أنجبتهم الطريقة الشاذلية . وحكمة الصوفية أشهر من أن تعرف .

أرأيتم بعد ذلك سادتى مما قلت أن التصوف هو السعى الى مقام الاحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهو مقام الذين يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون .

وأنه علم راسخ وعمل شامخ ومذاق نافخ .

وأنه علم بالحدود وبذل للمجهود وانس بالوجود .

وأنه الفرار الى الله مع الفارين اليه .

أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة التنفيذية

اقليم مصر

الخميس ٢٨ من شعبان ١٣٧٩

٢٥ من فبراير ١٩٦٠

وقد تفضل الأزهر الشريف فأرسل الى كتابا معبرا عن ارتياحه للمحاضرة وقد رأينا أن نورده بنصه شاكرين له تقديره الكريم .

الجامع الأزهر

الادارة العامة للثقافة الاسلامية

(مكتب المدير العام)

-

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الكبير حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد

فان الادارة العامة للثقافة الاسلامية باسم مشيخة الجامع الأزهر تتقدم الى سيادتكم بأخلص شكرها وعميق تقديرها لتفضل سيادتكم بالاسهام فى انجاح الموسم الثقافى الثانى لقاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى بالمحاضرة القيمة التى كان لها أطيب الأثر فى نفوس السامعين . وختاما اذ نكرر شكرنا وطيب تحياتنا . نسأل الله سبحانه أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العروبة والاسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله

المدير العام

للثقافة الاسلامية

أمضاء

(دكتور محمد البهى)

غرة رمضان سنة ١٣٧٩

٢٧ من فبراير سنة ١٩٦٠